

إبستمولوجيا الترجمة¹ في النصوص التاريخية بين النظرية والتطبيق (مقاربات منهجية)

فاطمة الزهراء طوبال⁽¹⁾

مقدّمة

لطالما كانت الكتابة التاريخية تشكل فنا قائما بحد ذاته، خاصة وأنها حققت ازدهارا منقطع النظير في وصف الأحداث والنشاطات التي كان يمارسها الإنسان قديما. وقد شهد هذا المجال بروز مجموعة من المؤلفات التي صار يعتمد عليها كنصوص للتمثيل المسرحي²، ومن أهم المصادر التي أخذت حيزا كبيرا من اهتمام المسرحيين كتب الرحلات³ بلغاتها المتعددة وفي فتراتها المختلفة والتي غالبا ما كانت تميزها معطيات فكرية ثقافية أخذت اهتماما كبيرا، لتصبح بمثابة أدب له علاقة بالتاريخ والفن والمسرح وأصبح البحث في هذا الفن من أهم المباحث التاريخية التي صرنا نطلق عليها فيما بعد بأدب الرحلة⁴ والذي يصور فيه الرحالة الحثييات والوقائع وكذا وصف البلدان التي لا ينقصون منها شيئا أثناء كتابتهم عن ما لاحظوه بأعينهم المجردة وما عايشوه من مشاهد متنوعة وكذا قصص ومغامرات في أقاليم متباينة وأزمنة متفرقة تستدعي على الباحث في النصوص القديمة ترجمة المعلومات بدقة لأخذها كنص مسرحي يعرض على الركح المحلي أو العالمي.

⁽¹⁾ Université Oran 1, 31 000, Oran, Algérie.

¹ نقصد بذلك تجاوز نظرية العلم المتخصص في الترجمة على معناها اللساني إلى نظرية درجات اليقين المعرفي على معناها الإنساني

² ينظر: العيس، سالم (1999). الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية. اتحاد الكتاب العرب، (ب. ن)، ص. 275.

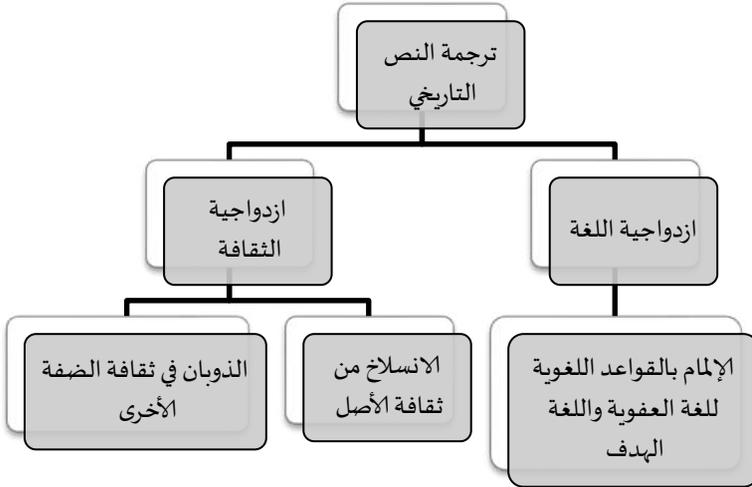
³ مثل كتابات فيرن جول انظر: كتابه حول العالم في ثمانين يوما. (1998). (صبري الفضل، ت.). الهيئة العامة للكتاب.

⁴ ينظر: سعد الله، أبو القاسم (1983). تجارب في الأدب والرحلة. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

ورغم الاختلاف الذي نلمسه بين ثقافات الشعوب في النصوص التاريخية من حيث نمط العيش والتفكير وطبيعة المنطقة، إلا أن هذا الملمح يمكن استقراؤه منهجيا عن طريق الترجمة التي تؤدي دورا نافذا في المد بين جسور الحضارات المتفرقة كي تنقل لنا خصوصيات كل بيئة، من خلال عدة مراحل زمنية⁵. إذ سنعرض للنقاش بعض الدراسات التي خاضت في هذا الإشكال في صفحاتنا اللاحقة.

إشكالية بناء النص المترجم في الكتابة التاريخية

ترتكز ترجمة النصوص التاريخية على معايير وأبعاد لا بد أن يراعيها المترجم خلال قيامه بعملية النقل المعرفي⁶ للنص وذلك ما سنوضحه فيما يلي :

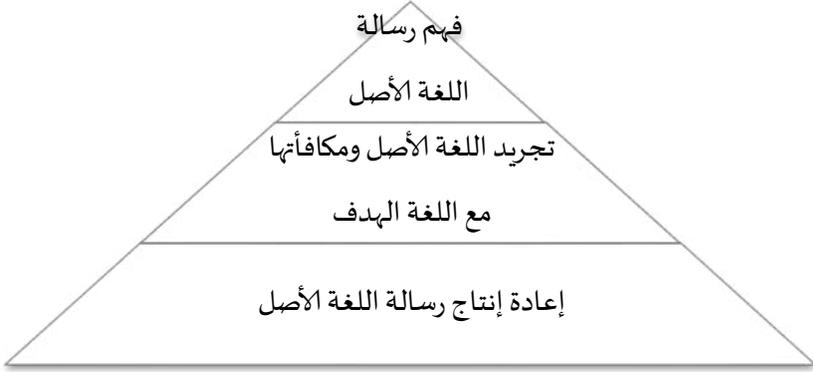


إن أهم ما يميز النص التاريخي هو ثراؤه بالمعطيات العلمية والمعرفية وغالبا ما تكون له خصوصية إيديولوجية تصدر من ذات المؤرخ الذي يحصر انتماءه الفكري والعقائدي في دائرة مغلقة أثناء تناوله الأحداث التاريخية وبالتالي تتحول ترجمة هذا النص من ترجمة

⁵ يتطرق إلى هذه المراحل بشكل من التفصيل صغير مريم في مذكرتها ينظر: إشكالية ترجمة أدب الرحلة. [مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، جامعة وهران 1، معهد الترجمة]، إشراف بوزربية مختارية، السنة الجامعية 2014-2015، ص. 31-47.

⁶ لمزيد من التفصيل ينظر: ساسي آمال، طرق ومناهج تعليم الترجمة. [أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الترجمة، جامعة وهران 1، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم الترجمة]، إشراف نصر الالدين خليل، السنة الجامعية (2013-2014)، صص. 207-277.

تقنية إلى ترجمة حسية في كثير من الأحيان والتي تتعمق أكثر في الظواهر الثقافية المختلفة التي ترد في مضامين المادة المراد نقلها ولتحقيق ذلك يجب أن يكون للمترجم القدرة على إدراك ثقافة اللغة المنقول منها⁷ وبالتالي فإن هذه العملية تخضع بالضرورة للشبكة الصنافية الموالية:



وللإشارة فإن اللغة الأصل أو المصدر المراد تحويلها إلى اللغة الهدف عادة ما نلمس بها تغيرات مصطلحية ذات دلالة خاصة حسب الفترة الزمنية التي اشتهرت فيها ولهذا يميز المختصون في هذا المجال بين عدة مستويات لغوية⁸ أهمها:

المستوى المصطلحي المؤلف	عبارات شعبية
المستوى المصطلحي العام	أدبيات ونصوص رحلية
المستوى المصطلحي الرسمي	الاتفاقيات والمؤتمرات

ولهذا يراعي المترجم إنتاج الخطاب وفق المستويات اللغوية ذات الدلالة المصطلحية التي ذكرناها الآن؛ حيث غالبا ما يواجه صعوبة في شرح المصطلح أو ضبطه خاصة في حالة ما إذا لم تكن له فكرة عن ثقافة المجتمع المدروس محل الترجمة النصية فتواجهه صعوبة

⁷ لمزيد من المعلومات ينظر: شاهين، أحمد (1998). نظريات الترجمة وتطبيقاتها في تدريس الترجمة. عمان: مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع.

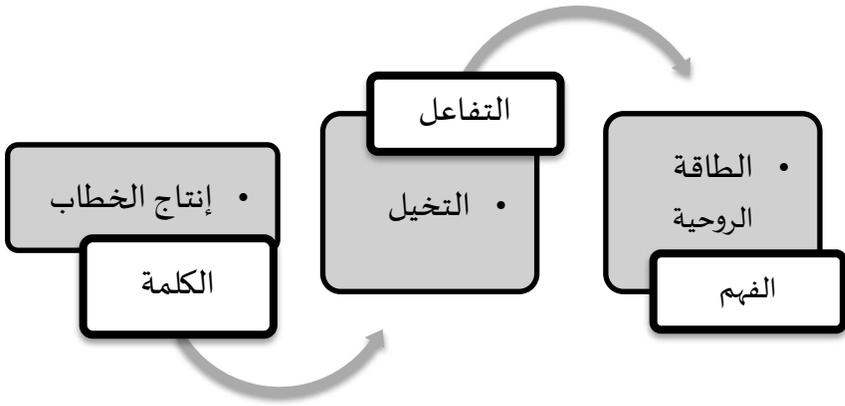
⁸ يرد شرح هذه المستويات بشكل من التفصيل عند صغير مريم، مرجع سابق، ص. 47.

في ترجمة التصورات الذهنية والمفاهيم المتداولة في مكان ما. وسنتطرق لاحقا إلى أهم الأسس النظرية التي على المترجم مراعاة جوانب منها خلال ممارسته العملية الترجمة.

الأسس النظرية في تطبيق مناهج الترجمة على النص التاريخي (دراسة في التقنيات البحثية التقليدية والجديدة)

Wilhelm Von Humboldt (2000, p. 40-50)

لا يعتبر Humboldt اللغة وسيلة للمرور إلى ثقافات مغايرة؛ لأنها تخضع لقواعد بنائية توارثتها الأجيال عن بعضها بعض، فتوجهه جاء مناقضا لما سيأتي ذكره من منظورات لاحقة، فهو ينفي تماما مبدأ تساوي اللغات أو تقارب الثقافات؛ حيث يرى بأن كل لغة تعبر عن ثقافة الإقليم الذي ظهرت فيه، ويرى أن الترجمة ما هي إلا وسيلة مؤقتة للتمكن من الحصول على معلومة ما، ويؤسس بناء اللغة على البعد الثقافي الهوياتي الذي لا يمكن أن تتدخل الترجمة في تغييره أو مجرد تأويله إلى بعد مكاني آخر أو زمني، ويصور العلاقة بين الترجمة والنص أو الكلمة وفق ما نوضحه في الشكل التالي:



ويرر Humboldt فكرته في أن ترجمة النصوص الأصلية تبتعد كلياً عن الأمانة المعرفية في نقل الوقائع كما هي وفي نفس الاتجاه ذهب كل من Heymann Steinthal⁹ و Alexander Potebnja¹⁰ إلى إعطاء أهمية بالغة الأثر بين اللغة والنمط العرقي للشعوب

⁹ لمزيد من التفصيل انظر:

Pénisson, P. (1998). Heymann Steinthal et la psychologie linguistique des peuples, *revue germanique internationale*, (10), p.41-50.

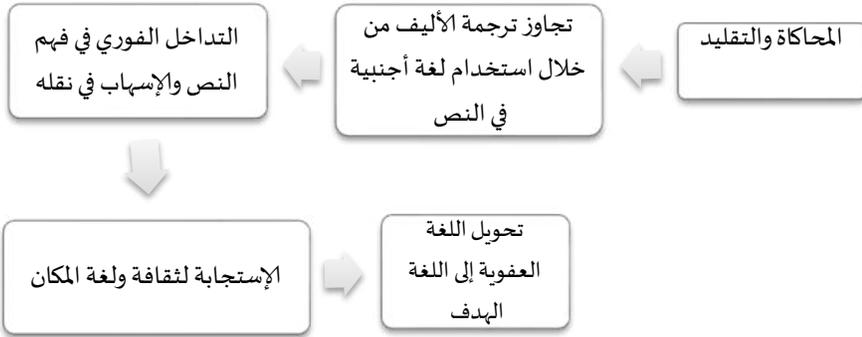
¹⁰ لمعلومات أكثر ينظر:

في إقليم ما، فنجد هؤلاء يركزون في دراستهم على تصنيف الترجمة ضمن النمط الوظيفي، وأعطوها صفة الانفصال عن أي نمط ثقافي فلا تتغير بتغير الأمكنة والأزمنة.

توجهات معاكسة

دراسة مايكل كرونين Michael Cronin

في دراسات مستفيضة تحمل عنوان "الترجمة و الهوية" (Cronin, 2006, p. 117) و "الترجمة في العصر الرقمي" هيمنت فرضية نسبية اللغات على العديد من المعطيات المعرفية التي تقدم بها الباحث (Cronin, 2003) ؛ حيث يوضح كيفية استخدام الترجمة في شرح وفهم ثقافة الشعوب المختلفة، وذلك من خلال الافتراضات العلمية التي انطلق منها في أن على مترجم النصوص أن يلجأ إلى منهج التكيف وذلك بمطابقة النص الهدف بطريقة تتوافق مع ثقافة مجتمع اللغة الهدف عن طريق إستراتيجية التواصل اللغوي وهذا ما سنبينه من خلال الشكل التالي :

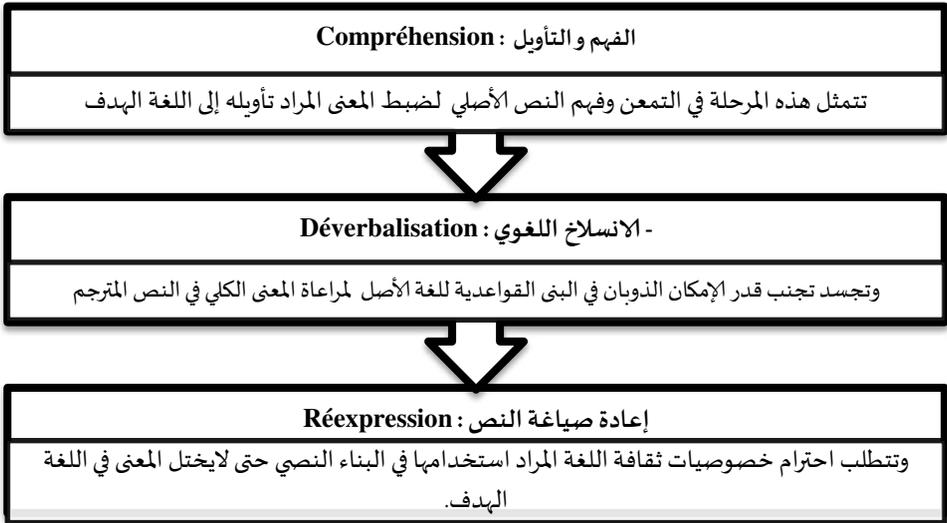


وهذه الافتراضات النسبية جاء بها كل من ساير وبنجامين سابقا، واللدان أكدا في دراستهما "أن اللغة لا تقدم وسائل الاتصال لمحدثها فحسب ؛ وإنما تحدد للمترجمين كيفية النظر إلى العالم" (بن برينس، 2017، ص. 103) ؛ حيث يوضح Michael Cronin أن على الكاتب مواجهة واقع التواصل اللغوي ويستعين بمناهج التواصل الثقافي، وما يستخلص من ذلك هو أن العلاقة التي تربط بين اللغة والثقافة تحمل سمة لغوية قواعدية جد متباعدة بالنسبة للدارس، ذلك أن الترجمة وفق المنهج اللغوي تؤدي دورا

ثانويا في تحديد معاني النص في جميع المجالات، وما نستخلصه من ذلك هو أن الوجهة النظرية لهذا الدارس تعطي هذا المجال إستراتيجية ترجمية مميزة تدعوه إلى الحفاظ على خصوصيات كل القيم الاجتماعية أو الدينية التي تربط النصوص بالمترجم الذي يؤدي دورا هاما في نقل الحقائق بلغة أجنبية بين ثقافتين متباينتين.

دراسة ماريان لودوير (2012)

تركز الباحثة في دراستها الموسومة بـ "الترجمة النموذج التأويلي" على النموذج التالي في بناء أي نص مترجم من لغته الأصل إلى لغة الهدف، وذلك وفق ما نبينه في المخطط الآتي :

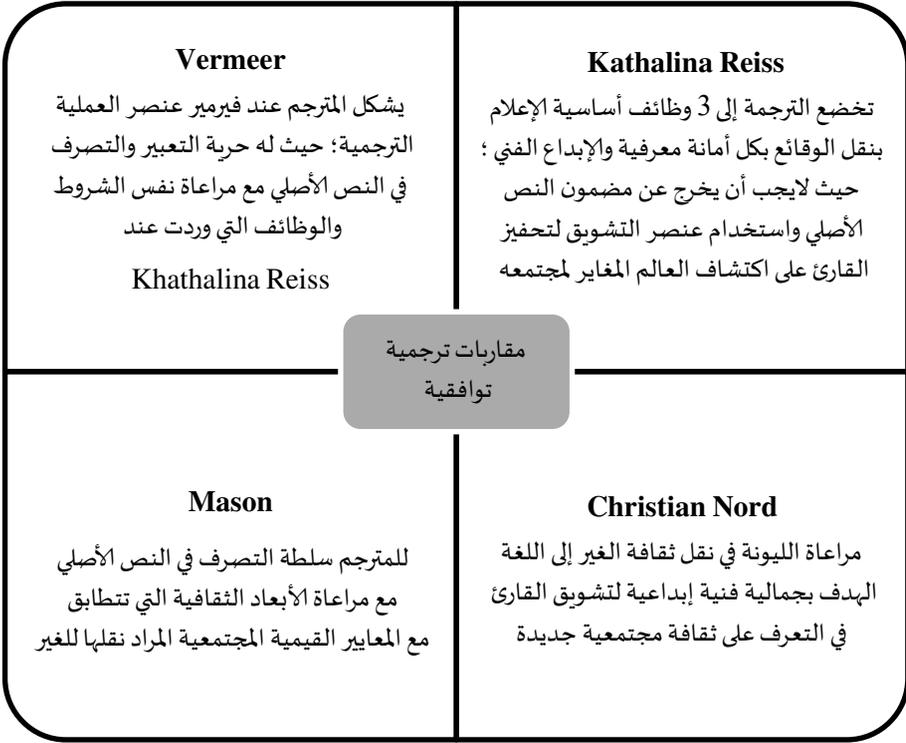


فهذه الخطوات التي نلمسها في قراءتنا لمجهودات الدارسة تجسد تقارب العلاقة في المنهج الذي طرحه Michael Cronin، فهي بذلك تنوي الوصول إلى فكرة مفادها ضرورة غوص المترجم في النماذج التقليدية القيمية للمجتمعات الأجنبية والذوبان في حضاراتها وثقافتها لرسم صورة نموذجية عن طبيعة النص المترجم.

ولعل هذا ما نلمسه في عدد من المقاربات المنهجية¹¹ والتي تعتبر ترجمة النص هو عملية تواصلية تخضع لمبدأ التوافق المفاهيمي اللغوي، ولا بأسفي أن نوضح بشكل

¹¹ ينظر: صغير مريم، مرجع سابق، صص. 81-78.

مقتضب أهم التوجهات التي صبت فيما ذهبت إليه الدراسات التي سبقت الإشارة إليها في هذا التوجه من خلال الشكل التالي :



خاتمة

ونخلص في الأخير إلى أن هذه المقاربات منفتحة على القيم الثقافية والاجتماعية في نقل النصوص العلمية وترجمتها لتعكس رؤية فنية إبداعية في التعريف بثقافة الآخر، وإن أغلب ما يمكن استغلاله كمادة حيوية في تصوير المشاهدة لاستغلاله في التمثيل المسرحي أدب الرحلة وتاريخ الرحلات الذي يعمل على بث عنصر التشويق في جذب القارئ والمشاهد وإثارة الرغبة لديه من أجل اكتشاف الأبعاد الثقافية للمجتمع الآخر، أو كما تطلق عليه غالبية الكتابات بحوار الحضارات لهذا على المترجم أثناء قيامه بالممارسة الترجمة التفتح على الغير من أجل إنجاز هذا العمل وفق ما تفرضه المعايير العالمية.

بيبليوغرافيا

- بن برينس، ياسمينة (2017، ديسمبر). مناهج الترجمة الأدبية. مجلة المترجم، (1)17، 103.
- ساسبي، أمال (2013-2014). طرق ومناهج تعليم الترجمة. [أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الترجمة، جامعة وهران 1، الآداب واللغات والفنون، كلية قسم الترجمة]. إشراف نصر الدين خليل،
- سعد الله، أبو القاسم (1983). تجارب في الأدب والرحلة. المؤسسة الوطنية للكتاب : الجزائر.
- شاهين، محمد (1998). نظريات الترجمة وتطبيقاتها في تدريس الترجمة من العربية إلى الإنجليزية وبالعكس. عمان : مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- صغير، مريم (2014-2015). إشكالية ترجمة أدب الرحلة. [مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة، جامعة وهران 1، معهد الترجمة]. إشراف بوزريعة مختارية.
- العيس، سالم (1999). الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية. اتحاد الكتاب العرب، (ب.ن.)، ص.275
- لودويرير، ماريان (2012). الترجمة النموذج التأويلي. (فايزة القاسم، ت.). (ط. 1)، لبنان : المنظمة العربية للترجمة، ص. 303
- Cronin, M. (2006). *Translation and Identity 1st Edition*. Kindle : Edition, 177 pages.
- Cronin, M. (2012). *Translation in the Digital Age (New Perspectives in Translation and Interpreting Studies)*, 1st Edition. Kindle Edition, 175 pages.
- Pénisson, P. (1998). Heymann Steinthal et la psychologie linguistique des peuples, *revue germanique internationale*, (10), 41-50.
- Simonato E. (2010, février). La déflexivité dans la théorie de l'évolution langagière chez Aleksandr Potebnja (1832-1891). *Langages* (178), 43-51. Armand Colin.
- Von Humboldt, W. (2000). *Sur le caractère national des langues, et autres écrits sur le langage*. (Thouard Denis, Trad.). Paris : Seuil.